الصارخة

ان حزني في ارض بغداد بادي كلّ يوم في شدّةٍ وازدياد
ربِّ أبدل لي قربها بالبعاد ان بغدادَ وهي امٌّ بلادي
كرهتها نفسي وملّ فؤادي

كلّ يوم مصيبةٌ تتجدّدْ لي فيها ومشكل يتولدْ
وعدوٌّ بشرٍّ يتوعدْ بلدة قد ضجرتُ منها وان قدْ
كان فيها لشقوتي ميلادي

بلدةٌ عمّ جانبيها الخرابُ ما بها عن قتل النفوس اجتنابُ
في حماها الذي دهاهُ اغتصابُ العذارى من الدماء خضابُ
في زمان الاعراس والاعيادِ

ظهرت في عزّ الجمال وبانتْ قبل هذا باعصرٍ ثمّ هانتْ
والى الظلم والعذاب استكانتْ اصبحتْ للضلال ارضًا وكانتْ
في زمان الرشيد ارضَ الرشادِ

اصبحت بعد ذاك بغدادُ ارضا لنفوسٍ من الجهالة مرضى
في رجالٍ لا يستطيعون نهضا اين بغدادُ في زمانٍ تنفّى
حيث كانت بغدادُ ارقى البلادِ

اين تلك الآمال تلك الاماني اين تلك القصور تلك المباني
اين تلك الربوع تلك المغاني اين تلك الشبّان تلك الغواني
اتواسوا جميعهم بالنفادِ

انّ حكم القضاء في الناس ماضي لستُ لو عملتْ احكم قاضي
رغمي المرء او غدا غير راضي كلّ ملكٍ فانهُ لانقراضٍ
كلُّ كونٍ فانهُ لفسادِ

ايها الناس فات وقت الملاهي ايها الناس انما انا ناهي
ايها الناس قد دهتكم دواهي ايها الناس سارعوا لانتباهِ
ايها الناس انتهوا في رقادِ

استنيروا بالعلم فالعلمُ نورُ انهُ بالعلوم تُنفى الشرورُ

فجرت من هذا السكون القبورُ انهضوا للنجاح طرًّا وثوروا
انا ناديتُ لو يثيرُ المنادي

انما العلم اصلُ ما نحتاجُ فيهِ نفعٌ لنا وفيهِ ابتهاج
فهوَ الراسُ او على الراسِ تاجُ او على التاج درّةٌ او سراجُ
مستنيرٌ كالكوكب الوقادِ

انّ حرّيةَ الكلام رَداحُ تتغانى في حبّها الارواحُ
غادةٌ وصلُها لغيري مباحُ أعلى من يقول حقًّا جناحُ
ربِّ قد طال كربتي واضطهادي

وعدتني قربًا ولم تفِ وعدا بل اراها تزيد في البعد بعدا
وجد الوحشُ في المعاهد معدى بعد سعدى انّ العدالة سُعدى
ليت سعدى مقيمةٌ في بلادي

ايها العدل انت انت الحبيبُ انّ عيشي ما غبتَ ليس يطيبُ
ما لمن قد دعوتهُ لا يجيبُ كنتَ هذا الصدود منهُ عجيبُ
أعدتهُ عن الوصال الاعادي

جئتُ يومًا الى حماهُ اخبُّ فسباني منهُ الجمالُ الاحبُّ
فاليهِ ما زلتُ من ذاك اصبو ولهُ انقاد فيهِ مني قلبُ
كان لولا الغرام صعبَ القيادِ

فاق منهُ الجمالُ كلَّ جمالٍ لستُ ادري وحبهُ شغلُ بالي
أبخلٍ قد صدَّ ام لدلال انا في حبهِ مريضٌ فدالي
لا اراهُ يجيءُ في عوّادي

ان ذاك الحبيبَ جمُّ المحاسن حبهُ في غيابة القلب كامنْ
وهوَ صعبُ الحصول غيرُ مواتٍ يطلب الناسُ ان ينالوهُ لكنْ
دون ما يطلبون خرطُ القتادِ

ليس فيكم لا درَّ درُّ ابيكم من يحامي عن حوضكم ويتيكم
فأملوا ذاك في ذراري بنيكم واصبروا ربما سيولدُ فيكم
رجلٌ باسلٌ طويلُ النجادِ

انت يا عدل كالضياء واجل ما لآسٍ الاَّ عليك المعوّلْ

بك احلامَ ليلنا نتأولُ ايها العدل انما انت للقلـ
ـبِ مرادٌ وفوق كلّ مرادِ

انت يا عدلُ مثلُ بدر التمامِ تتوارى سحائبَ تحت الغمامِ
ابدٌ كيما تشقّ جيب الظلامِ كم كرامٍ ضمن الحجونِ نيامِ
يشبهون السيوفَ في الاغمادِ

ويح نفسي ممّا تعانيهِ نفسي ان يومي في حزنهِ مثل امسي
انا بالموت وحدهُ متأسّي علّ عيني اذا تبوّأت رمسي
تستطيب الرقادَ في الالحادِ

ليَ في كربتي سباتٌ عميقُ انظر الموتَ حينَ منهُ افيقُ
مثلما ينظر الصديقَ الصديقُ انهُ وحدهُ عليّ شفيقُ
سيجيبني من ذوي الاحقادِ

للمنايا لو يعلم المرءُ فضلُ اذ بها من همومها النفس تخلو
يتسارى هناك غرٌّ وذلٌّ ان طول الرقاد في القبر يحلو
ليَ بعد العنى وطول السهادِ

المنايا لطفٌ فلولا المنايا خلدت في الشقاء هذي البرايا
بالمنايا اقتضاه كلّ القضايا في المنايا نهايةٌ للرزايا
للمنايا على البرايا ايادِ

قلّ لمن مات ثاويًا قرّ عينا انك الآنَ قد تأديتَ دينا
حينَ لاقيتَ في كروبك حينا ان للموت في الكروب علينا
منّةً كالاطواق في الاجيادِ

ليَ ظنٌّ او انهُ بعضُ وهمِ يذهبُ الفيلسوفُ منهُ لنفسي
انّ سترقى روحي لاعلى نعيم وسيبقى في وحدة القبر جسمي
هل الى الجسم حاجة في المعادِ

ليس في فسحة المجرّة ضيقُ انها للارواح نعم الطريق
هل لنفسي اذا تسير معيقُ نظرٌ لي الى السماء عميق
يتحرّى نهايةَ الابعادِ

حين يهتزّ في الفضاء الاثيرُ اين تمضي امواجهُ وتسيرُ

لستُ ادري وحل بذاك خبرُ اعلى الروح في الثريّا امينُ
مثلما في الثرى على الاجساد

هل اراد الشعرى العبورُ عبورا لسبيلٍ كيما تسرّ مزورا
ليت شعري هل انّ فيها شعورا ان لي بالشعرى العبور لنورا
في عبوري وفرحةً في فؤادي

وضعُ هذي النجوم يا روح يقضي ان في الجوّ مرتقًى لك يرضي
بعضها في نظامها فوق بعضٍ انما نحن ساكنون بأرضٍ
هي ادنى مراتب الايجادِ

ارثني يا نفسُ ارثي لسماء والحقي بالشعرى وبالجوزاء
ثم بيني للارض بعد المساء مثل نجمٍ مغرّبٍ بضياء
هو للمدلجين في الليل هادي

لا تلاقين في السماء خصوما لا ولا تخشين فحشًا وشوما
او سقوطًا على الثرى مذموما ان في اعماق السماء نجوما
سابحاتٍ سبحًا بغير استناد

سبحت في الابعاد عرضًا وطولاً سائقٌ سائقٌ لها ان تجولا
معقباتٍ بعد الطلوع افولا يقرأ الفيلسوف فيها فصولا
من كتاب الدهور والآباد

كلُّ نجمٍ منها بدون شبيهٍ دائرٌ في بعدٍ بوجهٍ وجيهٍ
فلكٍ جاز كلَّ عقلٍ نبيهٍ الهادى مثلُ النهايات فيهِ
والنهايات فيهِ مثلُ المبادي

ربَّ نامٍ في مصرَ وهو خليلي حاسبٍ دجلةً كوادي النيلِ
عاذلٍ لي على البكا والعويل ما لديهِ علم بخطبي الجليلِ
ليَ وادٍ وللعواذلِ وادِ

ايتها الناس ايها السعداء ما اصابت بلادكم ضرّاء
لكم الروحُ ان قبلتم فداء ما عليكم وانتم قدراء
لو مددتم لنا يدَ الاسعادِ